المدرسة الماركسية

الماركسية تيار فكري وسياسي ينسب لمدونة أفكار "**كارل ماركس**" وبدرجة أقل إلى"**فريدرك انجلز**"، وترتكز الماركسية سياسيا على تحليل التاريخ والمشاركة في الحركة الواقعية لصراع الطبقات، من أجل الإحاطة بالنظام الرأسمالي، وتتبنى مناهج التحليل الماركسي في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

1- تعريف كارل ماركس:

كارل هنريك ماركس (1818-1883) فيلسوف ألماني وعالم اقتصادي واشتراكي ثوري، لعبت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية واعتبر من أهم الاقتصاديين في التاريخ ومن أكثر الشخصيات تأثيرا في تاريخ البشرية، استحوذت حكومات اشتراكية ثورية تتبنى الفكر الماركسي على الحكم في العديد من البلدان في القرن العشرين، مما أدى لتكوين دول اشتراكية كالاتحاد السوفيتي في سنة 1922، وجمهورية الصين الشعبية سنة 1949. كما تأثرت العديد من نقابات وأحزاب العمال بالفكر الماركسي، نشر العديد من الكتب أهمها بيان الحزب الشيوعي، ورأس المال.

2- مصادر المدرسة الماركسية: ومن مصادر الفلسفة الماركسية نذكر:

أ- الفلسفة الألمانية:

من أبرز رواد الفلسفة الكلاسيكية الألمانية الفيلسوف "**هيجل**" **(1770-1823)**، والذي نظر إلى العالم الطبيعي والتاريخي والروحي بوصفه عملية، أي في حركة دائمة، وفي تغير دائم (عملية ديالكتيكية). و"**لوفيج فيورباخ**" (1804-1872) لعبت فلسفته المادية دورا هاما في وضع ماركس وانجلز للرؤية المادية.

ب- الاقتصاد السياسي الانجليزي:

النظريات الاقتصادية التي وضعها كل من "**آدم سميث**" و"**ديفيد ريكاردو**"، واللذان أوضحت نظريتهما أهمية الأساس الاقتصادي لنشاط الناس، كما أوضحا أن تطور المجتمع يرتكز على التفاعل الاقتصادي بين الناس.

ج- الاشتراكية الطوباوية:

ومن أهم رموزها" **سان سيمون**"، و" **فورييه**"، و" **روبرت أوين**"، والذين ركزت أفكارهم على مطالبتهم

بضرورة انتشار الملكية العامة(الجماعية) والعمل الجماعي، بما يسمح بالقضاء على بؤس الجماهير. فعلى ضوء الانجازات النظرية لأبرز رجالات الفلسفة والاقتصاد السياسي، والاشتراكية الطوباوية، وضع ماركس وانجلز نظرية فلسفية جديدة تجمع لأول مرة في تاريخ العلم بين المادية الفلسفية والمنهج الديالكتيكي، وتعطي تفسيرا علميا لحياة المجتمع البشري.

3- مبادئ المدرسة الماركسية: ترتكز النظرية الماركسية عن المجتمع على المسلمات الأساسية التالية:

- أن أساس الواقع الاجتماعي والحياة الاجتماعية مادي وليس فكري.
- أن الإنسان كامل قابل للتطور دائما وقادر على تغيير عالمه الطبيعي والاجتماعي.
- أن التطور الاجتماعي يحدث نتيجة الصراع الدائم بين الإنسان والطبيعة من جهة وبين المجموعات الاجتماعية المتصارعة في المجتمعات الطبقية من جهة أخرى.
- أن المجتمع يكون فقط في حالة ثبات نسبي.
- أن وظيفة العالم ليست فقط دراسة الظاهرات الاجتماعية من أجل فهمها ولكنها أيضا تشمل الممارسة أو العمل من أجل تغييرها.
- إن وحدة التحليل الأساسية ليست هي الفرد ولكن التكوين الاجتماعي الاقتصادي الذي تكون تاريخيا.
- أن النظرية الاجتماعية يجب أن تضم القوانين العامة التي تحكم المجتمع الإنساني في تطوره.
- المتغيرات التي يتم على أساسها تفسير الظاهرات الاجتماعية هي المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية ذات الطبيعة التاريخية.

وتصور النظرية الماركسية عن مجتمع النظام الشيوعي على انه النظام الأمثل للبشرية على عكس النظريات الاجتماعية الغربية التي تؤكد على أن النظام الأمثل هو الرأسمالية.

4- المادية التاريخية:

ترتبط المادية التاريخية ارتباطا تماما بالإطار العام للمادية الجدلية، وتعتبر امتدادا طبيعيا وواقعيا لقضايا الديالكتيك وفروضه، إن المادية التاريخية تعنى بالوجود الاجتماعي كواقع اجتماعي مستقل عن الوعي الاجتماعي للإنسان وبتطور المجتمع وقوانينه، وبهذا تعني المادية التاريخية تطبيق المادية الجدلية على المجتمع ويعرفها"غليزرمان" بأنها النظرية العامة العلمية التاريخية التي تم استخلاصها من دراسة التكوينات الاقتصادية والاجتماعية، وهي في نفس الوقت منهج لتحصيل المعرفة.

ويمكن عرض أهم القضايا المطروحة في المادية التاريخية بصورة موجزة فيما يلي:

4-1- يمثل الإنسان نقطة البدء في التحليل الماركسي:

فقد رأى ماركس أن الإنسان متطور دائما، وأن قدراته الكامنة والممكنة غير محدودة، ويمكنه أن يحقق أعلى صورة من الإتقان في الفكر والعمل والإبداع، وهو خالق لظروفه ومتأثر بها في ذات الوقت.

4-2- المجتمع ليس مجرد تجمع آلي للأفراد وإنما هو وحدة اجتماعية اقتصادية مترابطة

وقد طرحت الماركسية مفهوما يعبر عن هذه الرؤية، وهو "**التكوين الاجتماعي الاقتصادي**" الذي يعني نموذجا تاريخيا للمجتمع، يقوم على أساس أسلوب إنتاجي معين، ويظهر كمرحلة في تطور المجتمع الإنساني.

يتشكل التكوين الاجتماعي الاقتصادي من جانبين مترابطين:

الأول: يسمى الأساس أو البناء التحتي ويقصد به كل العناصر المادية والاقتصادية المرتبطة بعملية الإنتاج، ويتكون من عنصرين هما:

– قوى الإنتاج ويقصد بها الإنسان العامل ووسائل الإنتاج كالأرض والمناجم والغابات والمواد الخام، والآلات والأدوات اللازمة للإنتاج.

– علاقات الإنتاج وهي العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد أثناء عملية الإنتاج.

الثاني: يسمى البناء الفوقي وهو مجمل العناصر الأخرى للمجتمع غير الاقتصادية ويتضمن البناء السياسي والتشريعي والفلسفي والأخلاقي والجمالي والديني.

4–3 – الصراع الطبقي:

يمثل الصراع بعدا هاما في المادية التاريخية، إذ يرى ماركس أن الصراع الطبقي هو قانون التطور التاريخي، وهو القانون الذي يثبت أن جميع أنواع الصراع في مجالات السياسة أو الدين أو الفلسفة أو أي ميدان آخر ما هي إلا تعبير صادق عن الصراع الذي ينشأ بين الطبقات، ويصبح تاريخ المجتمع الإنساني هو تاريخ الصراع الطبقي: بين الحر والعبد، وبين النبلاء والعامة وبين الإقطاعي والفلاح الأجير، وبين صاحب العمل والعمال، فلم يتوقف النزاع بين الطرفين، فكان يظهر تارة بصورة مباشرة، ويظهر تارة أخرى في شكل غير مباشر.

ويرى ماركس أن المراحل التاريخية الأساسية التي مر بها المجتمع الإنساني كانت نتيجة الصراع بين الطبقات، المرتبط بالتناقض بين قوي الإنتاج وعلاقات الإنتاج، مما أدى إلى حدوث ثورات متتالية من الطبقات المستضعفة، وتتمثل هذه المراحل في:

– المرحلة الشيوعية البدائية.
– المرحلة العبودية.
– المرحلة الإقطاعية.
– المرحلة الرأسمالية.
– المرحلة الاشتراكية.
– المرحلة الشيوعية.

4-4- الاغتراب:

يمثل الاغتراب واحدا من الموضوعات الأساسية التي عالجها ماركس، فهو يلعب دورا محوريا في مشروعه النظري، فقدم تحليلا عميقا لأبعاده المختلفة كما تجلت في إطار النظام الرأسمالي الذي عاصره ماركس.

يقصد بالاغتراب بشكل عام أن يصبح الإنسان غريبا عن جانب أو أكثر من جوانب واقعة المعاش.

ويرى ماركس أن النظام الرأسمالي هو الذي يخلق الاغتراب لدى العامل، ذلك لأنه يحول طاقة الإنسان على العمل إلى سلعة تباع وتشترى، بل إن قوة العمل هذه تصبح أكثر رخصا كلما أنتج العامل أكثر، فقيمة الإنسان تتدهور كلما زادت قيمة الأشياء التي ينتجها.

5- نقد المدرسة الماركسية: تعرضت المدرسة الماركسية لانتقادات عديدة أهمها:

- المبالغة في تقدير أهمية الجانب الاقتصادي، باعتباره العامل الموجه والأكثر تأثيرا في حركة التاريخ الإنساني، والتغاضي عن عوامل أخرى كثيرة مؤثرة في هذا السياق كالعوامل الاجتماعية والفكرية وغيرهما.

- الازدواجية داخل الأشياء لا تعني التناقض، ولكنها قد تعني التكامل والانسجام، لا الصراع والخصام، فالذكر مكمل للأنثى، والسالب يتمم الموجب ليحقق المغناطيس وظيفته، والليل والنهار لا يتصارعان، بل يكمل كل منهما الآخر.

- سقطت العديد من النبؤات الماركسية ولم تتحقق كما تخيلها ماركس، فقد تنبأ بحدوث الثورة في بلد صناعي متقدم كانجلترا أو ألمانيا أو فرنسا، ولكنها حدثت في بلاد زراعية متخلفة في ذلك الوقت وهي الاتحاد السوفيتي والصين، كما أن المجتمع الشيوعي المتكامل الذي تنبأ به لم يحدث، وانهارت النظم الاشتراكية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1990، وعادت الاشتراكية إلى النظام الرأسمالي مرة أخرى.